آيات الصلب والرفع

ربيعة قريدي

ملخص:

تمثل عقيدتي الصلب والرفع أساس العقائد المسيحية، وهما سر الفداء ومركز الدين المسيحي، إذ تم مفعول الوساطة بموت المسيح وسفكه دمه، الذي به كفر عن خطايا البشر وأرضى الله الآب، ولم يقل أحد بأن المسيح لم يقتل أو يصلب قبل مجيء الإسلام، ولكن بنزول القرآن الكريم جاء النفي قاطعًا لصلب وتعذيب وموت المسيح على الصليب في الآيات القرآنية، ويثبت القرآن الكريم أنّ الله تعالى أنجاه منهم، وهنا يفنّد القرآن الكريم واحدة من أهم ركائز العقائد المسيحية، وهي موت المسيح على الصليب تكفيرا وفداء للبشرية، وهو ما تدعمه الأدلة النّصية حتى من الأناجيل والأدلة التاريخية والعقلية التي استشهد بها علماء المسلمين.

Abstract :

The doctrine of crucifixion represents the pillar in Christian faiths, the sacrament of redemption and the center of the Christian religion The mediation of the death of Christ and the shedding of his blood, whom forgave the sins of men and God's Father, and no one ever said that Jesus was not killed or crucified before the coming of Islam, but the Qur'an the denial came to heart Torture and death of Christ on the cross in the Quranic verses, the Qur'an proves that Allah almighty, and fragrant here confounds the Qur'an is one of the most important pillars of Christian beliefs, the death of Christ on the cross, atonement and sacrifice for mankind, which is supported by the evidence even text of the Gospels and historical evidence And mental state cited by Muslim scholars.

تلقى عقيدة الصلب والفداء اهتماماً كبيراً من طرف علماء ومفكري الديانة المسيحية، وتعتبر أهم عقيدة يسعى للتبشير بها في أواسط الشعوب، لذا تعمد المؤسسات التنصيرية إلى الادعاء بأنّه يكفي الإيمان التام بصلب المسيح كابن للإله، لنوال الخلاص ودخول ملكوت الرب، في المقابل تعمل هذه الهيئات على تشويه معالم الآيات القرآنية التي تتكلم عن مسألة صلب المسيح ورفعه، ومن خلال هذه الجزئية سنحاول أن نبيّن طبيعة معتقد الصلب في المسيحية، وكذا حقيقة الموقف القرآني من هذه المسألة، وتتبع علمائه لهذه العقيدة والرد عليها، مساهمة منهم في ارساء الدور الريادي لعلم مقارنة الأديان في رد الشبهات التنصيرية حول آيات القرآن الكريم.

1. عقيدة الصلب في الأناجيل

عقيدة الصلب[1] أهم عقيدة يقوم عليها الدّين المسيحي كله، ويقول في هذا الصدد **الأب بولس الياس**: «إن موت المسيح وبالتالي سر الفداء قد مثل نقطة الدائرة من الدين المسيحي، إذ تم مفعول الوساطة بموت المسيح وسفكه دمه، الذي به كفر عن خطايانا وأرضى الله الآب»[2]، فالمسيحية بطبيعتها ديانة فداء، وتضحية المسيح بموته على الصليب، قد منحت الحياة الأبدية للمؤمنين به كمخلص منقذ لهم[3]، وعليه فإن إيمان المسيحيين يرتكز على الموت الكفاري المحقق لخلاص الجنس البشري.

2. الاحتجاج بالقرآن الكريم لإثبات الصلب

لم يقل أحد بأن المسيح لم يقتل أو يصلب قبل مجيء الإسلام، وهي مقالة المسلمين أجمعين، انطلاقًا من تفسيرهم لما جاء في القرآن في معرض

---

1. تسهب الأناجيل في رواية أحداث الصّلب التي ذكرها كل من متى:27، وإنجيل مرقس: 14-15 ولوقا الإصحاح:22-23، ويوحنا: 19.

2. بولس إلياس: يسوع المسيح، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، لبنان، ط2، د ت، ص 94.

3. E. Royston Pike : Dictionnaire des religions, adaptation francais de Segre Hutin, presse univerrsitaire de France, Paris, 3ème édition,1954, p. 267

توبيخه لليهود والحديث عن كفرهم، في قوله تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾﴾[1].

فمسألة الصلب مؤصلة في الأناجيل وهي أول العقائد التي كرّز بها الرسل، فكيف بعد انتشار المسيحية بما يربو عن 600 سنة، تأتي هذه الآية القرآنية وتنفي هذه الحادثة، بالإضافة إلى كونها غير واضحة وتعرض جملة إشكالات هي كالتالي:

* في قوله: « عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ » لو افترضنا أن اليهود آمنوا فعلا بأن المسيح هو رسول الله لما فكروا في قتله، بل آمنوا به مثل بقية من آمن به وصاروا مسيحيين.

* في قوله: « وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ »، ولم يشك أحد لا من اليهود ولا من المسيحيين ولا الرومان أو غيرهم ولم يسجل هذا الأمر في مؤلفاتهم في حقيقة أن المصلوب هو المسيح.

* أما عبارة « وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ » لا تصرح من هو المصلوب أهو المسيح أم غيره ولا من ألقى عليه الشبه إن كان كذلك، ولا عن كيفية نجاته إن لم يصلب.

وباختصار فإن نص الآية لا يقول أي شيء يمكن أن ينفي حقيقة حادثة الصلب، لأنّه لو كان يقصد أنّ المسيح لم يصلب حقيقة وقد ملأت عملية صلبه أكثر من ثلثي العهد الجديد، كما ملأت آلاف الكتب التي كتبها آباء الكنيسة في نهاية القرن الأول ميلادي وما بعد ذلك، لكان القرآن قد شرح عملية عدم صلبه وإلقاء شبهه على آخر بالتفصيل[2].

---

1. النساء: 157.
2. عبد المسيح بسيط أبو الخير: هل صلب المسيح حقيقة أم شبه لهم، مصر، د ط، 2004م، ص8-11.

أما قوله: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ﴾[1]، وقوله: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾﴾[2]، فهذه الآيات لا تتحدث عن الوفاة قبل الرفع أيضا، فللمسلمين تفسيرات عديدة للفظة «متوفيك» «فلما توفيتني» وأيضا في زمن الموت المقصود في قوله: «ويوم أموت»[3].

3. تفنيد احتجاجهم بهاته الآيات وإنكار الصلب في القرآن الكريم

لقد كان للآيات القرآنية موقف من المعتقد اليهودي. قال تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾﴾[4]، قاعدة قرآنية لإنكار المسلمين لحادثة الصّلب لا على أيدي اليهود ولا على أيدي غيرهم، فما هي الرواية الإسلامية لنهاية المسيح[5]؟

إن شأن القرآن في رواية القصص والاقتصار على مواطن العبرة والعظة كما في قصة عاد ونوح ولوط... أو الكشف عن بعض الحقائق وتوجيهها كما هو الحال هنا وفي قصة أهل الكهف وذي القرنين[6].

يتفق المسلمون على عدم قتل المسيح وصلبه، إلا أنّهم اختلفوا في سبب صلب المسيح وفي من وقع عليه الصلب على اعتبار أنّ كل من «القرآن الكريم» و«الحديث الشريف» قد سكتا عن هذا الأمر ولم

1. آل عمران: 55.
2. المائدة: 117.
3. عبد المسيح بسيط أبو الخير: هل صلب المسيح حقيقة أم شبه لهم، ص12.
4. النساء: 157.
5. عبد المجيد شرفي: الفكر الاسلامي في الرد على النصارى، دار المدار، بيروت، لبنان، ط2، 2007م، ص80.
6. الجمعي شبايكي: صلب المسيح وقتله بين الموروثات الإسرائيلية والآيات القرآنية، مجلة الدراسات العقدية ومقارنة الأديان، جامعة الأمير عبد القادر، الجزائر، عدد ، ص170.

يوضحانه، وعليه سننتقل إلى البحث عن ضالتنا في كتب التفسير وردود العلماء المسلمين حول هذه العقيدة.

سنقتصر على تفسير كل من **الطبري والرّازي**، لآيات الصلب والرفع، وأول تفسير نعتمد عليه هو تفسير «**أبي جعفر محمد بن جرير الطبري**»، لأنه يعد أفضل التفاسير المأثورة الجامعة لأقوال السلف في التفسير[1]، إن تفسيره الآية في سورة النساء يستند فيها إلى روايتين أساسيتين تختلفان في أمر إلقاء الشّبه على حواري واحد أو على جميع الحواريين.

الأولى: عن ابن عباس وابن إسحاق والسدي وابن جريج ومجاهد وقتادة: «إن بني إسرائيل حصروا عيسى وتسعة عشر رجلًا من الحواريين في بيت، قال عيسى لأصحابه: من يأخذ صورتي فيقتل وله الجنة؟ فأخذها رجل منهم وصعد بعيسى إلى السماء... فلما خرج الحواريون أبصروهم تسعة عشر فأخبروهم أن عيسى قد صعد به إلى السماء فجعلوا يعدون القوم فيجدونهم ينقصون رجلًا من العدة ويرون صورة عيسى فيهم، فشكوا فيه، وعلى ذلك قتلوا الرجل وهم يرون أنه عيسى وصلبوه».

الثانية: عن وهب بن منبه «لما أحاطت اليهود به وبأصحابه أحاطوا به وهم لا يثبتون معرفة عيسى بعينه، وذلك أنّهم جميعًا حولوا في صورة عيسى، فأشكل على الذين كانوا يريدون قتل عيسى من غيره منهم، وخرج إليهم بعض من كان في البيت مع عيسى فقتلوه وهم يحسبونه عيسى»[2].

وبعد عرض **الطبري** للروايتين نجده يرجح **الرواية الثانية**، وقد علّل موقفه بقوله: لو ألقى شبه المسيح على واحد فقط من تلاميذه، لكانت الحيرة في جانب اليهود فقط، ولما وقع التلاميذ أنفسهم ولا الأجيال

1. يوسف كامنغ: هل صلب المسيح، ترجمة: مصفى أمين خطاب، جامعة الأزهر، القاهرة، مصر، د ط، 2002م، ص08.
2. أبو جعفر محمد الطبري: جامع البيان عن تأويل آيات القرآن، تحقيق: محمود محمد شاكر، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، مصر، د ط، د س، ج6، ص455، 456.

المسيحية التي تلتهم نهب الحيرة والريبة[1].

والآن ننتقل إلى تفسير الرّازي لآية الرّفع، ومختصرها هو أنّه سلك طريقين:

1. هو إجراء الآية على ظاهرها من غير تقديم ولا تأخير فيها.
2. هو فرض التقديم والتأخير فيها، فالواو لا تقتضي الترتيب، ويميل الرّازي إلى الطريق الأول الذي أسماه «الظاهر»[2].

إذن فالآيات القرآنية كانت التربة الخصبة التي انطلقت منها «الردود الإسلامية على النّصارى»، إذ احتلت عقيدة الصلب والفداء حيزًا هامًا من الكتابات الإسلامية وسنقتصر على نموذج حديث، هو الشيخ «**أحمد ديدات**» في كتابه «**مسألة صلب المسيح بين الحقيقة والافتراء**»، من أهم العلماء المسلمين في القرن العشرين الذي حاول إبطال عقيدة الصلب انطلاقًا من النّصوص الإنجيلية وصولًا إلى إثبات النّص القرآني حول نفي الصلب، هو العالم أحمد ديدات في مؤلفه «مسألة صلب المسيح بين الحقيقة والافتراء».

يبتدأ ديدات كلامه بالحديث عن ما شاع تداوله في الأخبار الصحفية حول تقارير طبية لموت بعض الأشخاص، غير أنها تعود وتفند هذه الأخبار، على أساس أن هؤلاء لم يموتوا أصلا، بل هو خطأ طبي في تشخيص الوفاة، فمن ظنهم هؤلاء أمواتًا، إنما هم فقدوا الوعي لا غير، ويؤكد ديدات أن من نعم الله علينا أن الأجساد عندما لا تستطيع تحمل الآلام تدخل في عالم اللاّشعور، وهو تماما ما حصل للمسيح، حيث أن نظريته تبنى على أساس أنّ هذا الأخير لم يمت، بل فقد وعيه نتيجة تعرضه للتعذيب الناتج عن حمله على خشبة الصليب، وأن اعتقاد الجميع موته بعد مكوثه على الصليب حوالي ثلاث ساعات هو ادعاء باطل

1. يوسف كامنغ: هل صلب المسيح، ص05.
2. فخر الدّين الرازي: مفاتيح الغيب: «التفسير الكبير»، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط3، 1420هـ، ج8، ص74، 75.

-لكونه خطأ في تقدير الموت- حيث أنّ هذا الأخير وارد في حق الأطباء فكيف بالنسبة للعوام في ذاك الزمان وهذه هي أهم الأدلة المستقاة من الإنجيل وأقوال علماء المسيحية، التي يعرضها ديذات على صحة مقالته.

وضع الجسم بشكل مغاير لطبيعته (وضعه على الصليب) بالإضافة إلى انعدام الحركة يجعل الدورة الدموية تبطئ، ما يسبب موت المصلوب، غير أن ما أخبرتنا به الأناجيل أنّه تلقى طعنة رمح كانت هي الطعنة المنجية، لأنه بخروج الدّم والماء انتعشت الدورة الدموية وعادت لمسارها الطبيعي.

المدة التي قضاها المسيح على الصليب (ثلاث ساعات) المشار إليها من طرف الأناجيل هي مدة غير كافية لأن يلفى المسيح حتفه، والدّليل هو كون زملائه على الصليب بقوا أحياء بالإضافة إلى تعجب بيلاطس من طلب يوسف بإنزال المسيح، فسأل أحد الجنود إن كان قد مات مر: 15/ 44، لأنه حسب تجربته مع المجرمين يعلم استحالة حدوث الموت من خلال الصلب لمدة ثلاث ساعات لا غير، وإسراع كل من يوسف ونيقوديموس ومريم المجدلية من أجل إنزاله، ما يدل على علمهم أنه مزال حيًا، فأسرعوا بإنقاذه.

الحجرة التي دفن فيها المسيح شاسعة ذات تهوية جيدة، بمعنى أنها ليست قبرًا مظلمًا، ويورد لنا «جيم جيشوب» في مؤلفه «يوم مات».

- علم وتبليغ اليهود عن عدم موته، لكن بعد فوات الأوان حسب رواية[1].

- رجوع مريم المجدلية في اليوم الثالث، لأجل مسح جسده بالزيت[2]، إذ هي ليست من عادات اليهود، فلا يعقل مسح الجسد بالزيت بعد هذه المدة الكافية لتحلل الجسد؟ يجيب ديدات: هذا ممكن إن كان

1. متى: 27: 62-64.
2. مرقس: 16: 1.

لازال على قيد الحياة.

- تنكر المسيح في زي البستاني بعد خروجه من القبر، حتى لا يعرفه اليهود، ويتساءل لما التنكر إن كان بإمكانه هزم الموت ومن تغلب عليه مرة يستطيع الكرة مرة أخرى، بمعنى أنه لا نبرر للخوف من اليهود[1].

يتبين لنا أنّ نهاية المسيح كانت نقطة انطلاق لعملية تأويلية واسعة النطاق سعت إلى تبرير كل الأحداث الخاصة بمحاكمته وصلبه، فارتبط الاعتقاد بأن تعرضه لذلك النوع من الموت أنه كان رغبة في فداء الجنس البشري من الخطيئة الأصلية، واتجه المنصرون إلى استغلال نقطة الخلاف بين مفسري القرآن حول آية الشبه فاستنتجوا منها الدليل المزعوم على تناقض الآية، مع أن الآية واضحة صريحة، والاختلاف هو في فهم ما أبهم من كيفية التشبيه لا غير.

1. أحمد ديدات: مسألة صلب المسيح بين الحقيقة والافتراء، ترجمة: علي الجوهري، دار الفضيلة، القاهرة، د ط، 1989م، ص86-102.